بعد تضحيات كبيرة يشهد لها الجميع، اقامة كيانية مؤسسية فلسطينية مستقلة، عبر عملية تراكمية هجومية طويلة، حاربت فيها على جبهتين: الأولى ضد المغتصبين الصهيونيين؛ والثانية للافلات من محيط عربي يفرض بعضه وصايته عليها ويعرقل بروز الهوية الوطنية المستقلة للأرض وللشعب الذي يتمسّك بها.

ويجمع الجميع، الآن، بما في ذلك الذين لا يزالون ينكرون حق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة، على ان الانتفاضة الفلسطينية الباسلة قد دفعت الى المقدّمة قضية الاستقلال، وربطت بين القاطرة الفلسطينية التي رفعت راياته منذ مطلع العام ١٩٦٥ وبين عربات القطار الفلسطيني التي حملت ثمار الفعل الفلسطيني المستقل وأثمرت بذور الاستقلال على واقع الأرض، أي بين منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها وما حققته من بناء متنوّع ومنتشر للمؤسسات الفلسطينية التي كان الشعب الفلسطيني قد حرم من تطويرها، بل وبنائها، لأسباب عديدة.

لقد نجحت الانتفاضة في تقديم قضية الاستقلال الوطني باعتبارها الحلقة الرئيسة في خطة الهجوم الفلسطيني العام، ليس فقط لاستعادة أرض فلسطين، وانما، أيضاً، لاعلان استقلالها. ولم يكن قرار المجلس الوطني الفلسطيني باعلان دولة فلسطين، في ١٥/١١/١٩٨٨، الاّ تعبيراً عن المطالب التي رفعتها جماهير الانتفاضة، والتي بيّنت ان ما تحقق عبر سنوات الثورة الفلسطينية المعاصرة ببناء المؤسسات والأطر الاجتماعية الفلسطينية يسمح، ويوجب، اعلان هذه الدولة، تعبيراً مؤسسياً فلسطينياً عمّا تحقق بالفعل على الأرض، وفي الشعب، ولم يبق أمامه من عقبات لكي يحتل موقعه في العلاقات الدولية الاّ تردّد الولايات المتحدة الاميركية ورفض العدو الصهيوني.

وكما كان الاستقلال منذ بداية انطلاقة الثورة الفلسطينية هو الذي سمح للقيادة الفلسطينية أن توجه جهدها كله نحو تحرير الوطن، وجنّبها، على الرغم من كل المعوقات والمعارك التي فرضت عليها، أن تصبح تابعاً لهذا الطرف، أو ذاك، فان الاستقلال وفّر لهذه القيادة، وللشعب الفلسطيني كله، قدراً كبيراً من الحركة السياسية، وفتح باباً لخيارات أكثر تستجيب، بشكل أكثر واقعية، للمتغيرات التي حدثت، سواء على الساحة الفلسطينية، أو الساحة العربية، أو على الساحة الدولية.

وليس الاستقلال الفلسطيني، بأي حال، انعزالاً وانفصالاً عن المنطقة والعالم، وانما هو السبيل الى استخلاص الامكانات الايجابية في مجمل حركة الواقع العربي، والعالمي، وتقليل أثرها السلبي في الموقف الفلسطيني، والاحتفاظ بقدر عال من المرونة في التفاعل مع كل هذه المتغيّرات.

وبعد مرور أكثر من ستة عشر شهراً على اعلان الخطة السياسية التي وضعتها القيادة الفلسطينية عند اعلان الاستقلال، يمكن القول ان ثمة مرحلة جديدة في مراحل الهجوم الفلسطيني الثوري المستمر منذ الانطلاقة، وان هذه الخطة تسمح بتعزيز الحشد اللازم لكل هجوم، وبتوجيه قوة الضرب على النقاط الضعيفة للعدو، مع تجميع كل القوى المساندة لهذه الخطة، والتكيّف مع المتغيرات المحيطة، والاستفادة منها.

ومن المنطق أن تتعدّد زاوية النظر لهذه الخطة الهجومية الجديدة، فيراها البعض تراجعاً من وجهة نظر مقولات ورؤية سابقة على انجاز الاستقلال؛ كما قد يراها البعض قفزاً الى امام، فالأوضاع لم تنضج بعد، من وجهة نظره.

بالنسبة الى الأولين، لا بد من التذكير بأن اقرار الخطة الفلسطينية الجديدة عند اعلان